

# جورج عشي لـ «الوطن»: بحصول صورة «البائع الأعمى» على ميدالية فضية.. أصبحت كاميرتي آلة للإبداع

سوسن صيداوي

التكوين لا يأتي من عبث، وفي نمو الشخصية وتطورها، هناك العديد من العوامل والظروف التي لها بالغ التأثير، فالطبيعة من تلك العوامل والمؤثرات، وهي قادرة على التدخل والتحكم في الصفات الجسدية لأبنائها البشر، حسب مناطقها ساحلية أم جبلية كانت أو حتى من البوادي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، خصبها مهما تغيرت فصولها، فإنها قادرة على إغناء وإثراء الفكر والشاعر والأحاسيس، وكيف إذا كانت الأم الطبيعة التي أنكمت عنها، هي من أجل البقاع السورية وأكثرها نضرة وجمالاً. ظهر صفراً في طرطوس، من الضياع السورية، التي وربما بحسب البعض، تبالغ في عطائها أو في تميز أبنائها، والدليل على ذلك حالة من حالات لأشخاص من نفس المنطقة، الرسام التشكيلي والمصور الفوتوغرافي والعارف والمؤلف جورج عشي، صفات تقدمت اسمه، وربما هناك أكثر، فبين الريشة والألوان، يستمتع برسم البورتريات التي تحمل توقيعها بحقيقتها ووضوحها. ومن بين زحام الأشخاص وتبدل الأماكن، عينه قادرة على التقاط أجمل الصور الفوتوغرافية عبر كاميرته. وعندما يستأنس وحدته منصرفاً في التفكير، يلعب على وتر الكمان بكلمات يختار منها الأجل والأعذب كي تكون أغنية تنبض بالحياة، ولا يمكن لزمن مهما طال أن يطفئ نبض عاطفتها بالنسبة لنا نحن المستمعين، وبالنسبة لأهل الاختصاص من المحننين، رقتها وانسجامها مع اللحن، لا تتطلب التعديل أو التغيير بمكان ما.

صحيفة «الوطن» حاورت الفنان المتعدد جورج عشي، وإليك بعضاً من محطات مهمة في حياته...

• أنت من شهر صفراء / محافظة طرطوس إلى أي مدى الطبيعة تؤثر في تكوين شخصية الإنسان وكيف أثرت في فن جورج عشي وتعدد مواهبه؟  
الطفل كالجندول الرقيق المنساب تحدد مسيرته التضاريس التي تواجهه، وتحدد عذوبته الأرض التي ينساب فيها وهو كالورقة البيضاء يكتب عليها الزمن والطبيعة تفاصيل مستقبلية وتوجهاته. نعم.. أنا من قرية جميلة اسمها شهر صفراء، وهي كلمة آرامية تعني بالعربية جبل الصباح، وهي مسقط رأسي وأجمل قرى العالم، كما يعتقد كل إنسان أن مسقط رأسه هو أجمل أمكنة الدنيا، وقد حُفرت هذه القرية في ذاكرتي الطفولية كل الأشياء الجميلة.. أشجار التين والرمان والزيتون والزهور تزين حدائق البيوت والطرفات الترابية المتعرجة وحفر الماء في الشتاء وصوت المطر والرعد والبرق وصياح الديك ووزققة العصافير وخوار البقر، وأصوات البشر من حولي تصبغ بعضها البعض في الصباح وتجتمع لأحشاء القهوة، بينما الرجال يذهبون إلى الحقول المحيطة أو إلى أعمالهم سيراً على الأقدام أو بانتظار البوسطة التي ستقلهم إلى المن والبلدات القريبة إلى باناس أو طرطوس أو حتى إلى اللاذقية لقضاء بعض حاجاتهم الأسبوعية. كانت والدي حين صادفها أبي لأول مرة تسكن في قرية اسمها الخراب، وهي على مسافة عشرة أمثارات من شاطئ البحر الأبيض المتوسط، وفي المدصيح المسافة ثلاثة أمثارات، وهذه القرية تبعد عن مسقط رأسي ثلاثة كيلومترات، كنت في الصيف أقطعها مشياً على الأقدام، لأصل إلى البحر، ومنذ ذلك الوقت أصبحت بيني وبين البحر علاقة حميمة، وكنت أحياناً أتألم هناك في بيت خالي «نجيب حرباً» استمتع بصوت البحر وأمواجه والنوارس التي كانت تمر من هناك، وأراقب أبناء خالي في زورقهم حين يجرون لصيد السمك. أنا لم أكن أراقب ذلك بل استمتع وكانت هذه الصور تتوالى في ذاكرة طفولتي.

• كان والدك مدرس لغة عربية، لهذا أصبحت شاعراً ومتوناً للكلمة؟  
أبي من قرية سيعل اللبنانية، وكان قد تلقى علومه في مدرسة الجمهور اللبنانية وتوفى في الأدب العربي وعمل أستاذاً للغة العربية، وجاء إلى شهر صفراء في عام ١٩١٩ وبقي فيها.

وبدا نشاطه بتأسيس مدرسة في القرية مع عدة أشخاص، وساهم في إنعاش القرية ما أوجد له مكانة بين أهلها، وبالتالي انعكس هذا على اهتمام الأهل بأخوته وبني أيضاً، وكانوا ينادون والدي بالمعلم وكنت أنا أدمي جورج بن المعلم.

• متى بدأت علاقتك بالريشة والألوان؟  
حين أصبح عمري خمس سنوات انتقلنا إلى اللاذقية، ودخلت مدرسة راهبات القليين الأقدسين، وانتقل أبي من مدرسة شهر صفراء إلى مدرسة الأب سالم كما كانت تعرف، وكنا نسكن في حي الصباغين، وفي هذا الحي ذكريات جميلة جداً ورفقة رائعة كان لها الأثر الكبير في تنمية شخصيتي اليوم، وكان أبي بعد انتهاء المدرسة يأخذني معه إلى مكتبة النحات المشهور ميشيل أيوب، حيث كانت تحتوي على كتب غاية في الأهمية، على حسب قول والدي، وكان يمضي فيها الساعات وهو يقرأ، وأنا معه أقوم بواجباتي المدرسية، ثم أتمتع بروية المنحوتات الرخامية التي ادبها صاحب البيت. وفي المرحلة الإعدادية كانت رسوماتي تلفت انتباه مدرس مادة الفنون، وشاركت بمعرض المدرسة السنوي إلى جانب زملاءي، ومنهم خالد المزم الذي أصبح فيما بعد معلماً من أعلام الفن التشكيلي، وكان والدي يشجعني كثيراً على الرسم والرياضة وخاصة الجمباز.

• هل يمكننا القول بأن تعدد مواهبك كان لتعبئة وقت مع شخص كنت فقدته منذ زمن طويل.. وأقصد هنا والدي؟

نعم.. في العام الدراسي ١٩٥٣-١٩٥٤ حصلت الحادثة التي حولت مجرى حياتي كله بوفاة والدي عن عمر يناهز ٦٤ عاماً، وكنت في الثالثة عشرة من عمري، وفقدت بذلك الرعاية التي كنت قد حظيت بها منه، وبدأت التخلف في دراستي من الحزن عليه، وبينما كنت الأول في صفي دائماً رسبت في امتحان الشهادة الإعدادية، فجاء أقرابي لنا من لبنان

## أعادني المهدير لتتابع دراستي مجاناً.. فرسمت له لوحة لبيتهوفن

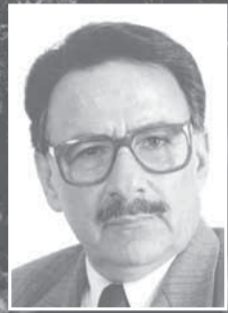
وأخذوني إلى مدرسة الفريز ماريست (الإخوة المريميون) في جونيه، وعدت من صف البروفيه، إلى السيرتفيا الإفرسنية، ومع الوقت عادت تقني بنفسي هناك، وتوفقت حتى في دراستي وكان ترتيب نجاحي في السيرتفيا الخامس على مدارس الفريز ماريست في العالم. وعدت إلى الرسم، وفي برسومات أذهلت المدرسين هناك، وجاءت بعنة سيخامية فرنسية وصورتي أنا ورسوماتي.

في عام ١٩٥٨ انتقلنا إلى حلب وحصلت ظروف أدت إلى تسريع أختي، التي كانت هي المعيلة الوحيدة لنا أنا

والوادي وأخي الذي يقوم بخدمة العلم، فتوفقت عن الذهاب للمدرسة آنذاك لعدم القدرة على تسديد القسط السنوي المقرر، فقام بعض من زملائي في المدرسة بجمع القسط بينهم وأعادوني إلى المدرسة، ففرض مدير المدرسة آنذاك المبلغ منهم وأعادني هو دون أن أدفع قرشاً واحداً، فرسمت له لوحة بيتهوفن وهو يقود الأوركسترا في مؤلفه الفاداس الاحتفالي نقلاً عن لوحة معروفة وأهديته إياها وكان سعيداً جداً بها، ثم طلب مني رسم أيقونات له بأجر وقت ذلك، لعلمه بأن المطلوب ليس قسط المدرسة بل أيضاً المأكل والملبس وأجرة البيت وبذلك الأمور مشيت على ما يرام. وأعود إلى السبب الذي دفعني إلى متابعة هواياتي كلها، وهو أنني كنت أصبت بكتئاب قوي في السبعينيات من القرن الماضي، وحاول الأطباء في دمشق مساعدتي ولكنهم فشلوا فكتبت للدكتور هنري أيوب قريباً من طرف والدته الذي كان مديراً لمشفى دير الصليب في جبل الديب، فدعاني للملعب بين يديه، وعند زيارتي له سألتني بضعة أسئلة، ووصف لي الدواء اللازم وطلب مني ألا أراجع أي طبيب في دمشق غير الدكتور فركت خلف. وفي دمشق اشتريت الدواء وفتحت النشرة المرققة وقرأت الأعراض الجانبية له فحفت أن استعمله، وتوجهت إلى الدكتور فركت خلف، الذي ضحك من خوفي، وقدم لي نقاشة ثم أعطاني حبة من الدواء وقال لي «لا تخف أنا معك وصلت إليه».

• ماذا عن التصوير الفوتوغرافي؟

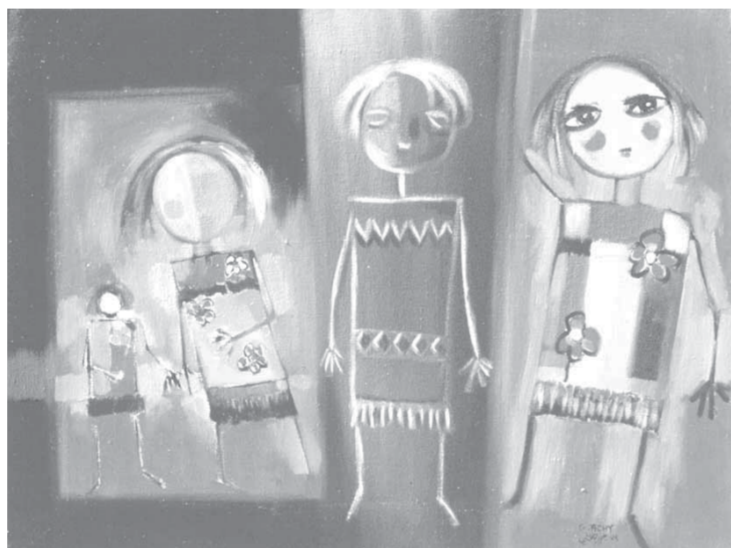
في عام ١٩٧٥ تمت دعوتي من وزير الثقافة العراقي طارق عزيز لإقامة معرض في بغداد، ولبيت الدعوة وقد تم اقتناء كل لوحاتي في بغداد، وعدت إلى دمشق، فاشترت كاميرا احترافية وسجلت على بيت في مشروع دمر من خلال نقابة الفنون الجميلة والوفاة وقراشي لأتابع الرسم. التصوير الفوتوغرافي كان مجرد وسيلة لتسجيل ذكرياتي، وأحياناً كانت تصادفتي لقطات فريدة أقوم بتسجيلها، ولم أكن أعطيها أهمية أو أكون مصوراً على المستوى الذي ينعني به النقاد بالمصور العالمي أو الذي نشر صورته إلا في عام ١٩٨٣. ففي هذا العام حضرت اللجنة العالمية لمعرض التريبرس فوتو إلى دمشق، وكان من برنامج زيارتهم زيارتي أنا بالذات، لست أدري من الذي أعطاهم اسمي، فاطلعوا على صوري الفوتوغرافية والأعوا على أن أشارك في المعرض الذي سيقام في دمشق، وفي الفترة بين زيارتهم إلى إقامة المعرض، قمت بجهد كبير كي أشارك وتقدمت بست صور، حازت إحداها الميدالية الفضية للمعرض، وهي صورة البائع الأعمى. هنا لم يعد من مجال لكي تستخدم آلة التصوير لتسجيل الذكريات بل أيضاً للإبداع ولا يصح النزول عن الموقع الذي وصلت إليه.



• ما حكايتك مع آلة الكمان الموسيقية؟  
بدأت التعلم على آلة الكمان في اللاذقية وتابعت ذلك في حلب وبعد حصولي على الثانوية تقدمت بطلب عمل في المؤسسة العامة للتبليغ، وعينت فعلاً وانتقلنا إلى دمشق في عام ١٩٦١، وكنت أداوم قبل الظهر في عملي بالبرجي وبعد الظهر كعازف كمان على القطعة في التلفزيون العربي السوري، ثم كعازف في الفرقة السمفونية الوطنية التي تشكلت أيام كان المحامي نجاة قصاب حسن مديراً للفنون في وزارة الثقافة وقدمنا أول عمل غنائي (الأرض) من تأليف والحنان عبد الرحمن الخطيب شقيق فايدة كامل، وقاد الأوركسترا وقتها الفنان المصري فؤاد حجازي على مسرح الحمراء بدمشق.

• إذا العزف على الكمان هو الذي حفرك كي تتوجه لقراءة وكتابة الشعر المحكي ثم الأغاني.. وبعدها اللقاء بالموسيقار الراحل ملحم بركات.. حدثنا عن هذه الأمور؟

بدأت كتابة الأغنية مع بداية عملي مع الفرقة الموسيقية للإذاعة والتلفزيون بدمشق ١٩٦١، ولكنها كانت محاولات لا تستحق الإشارة إليها إلى أن كانت مسابقة وزارة الثقافة لتأليف الأوبريت الغنائي ١٩٦٧ وقد حصلت فيها على الجائزة الثانية عن مؤلفي (خيال الريح الأزرق). وفي عام ١٩٧٥ خطر للفنان مدحود الأطرش أن يقوم بإنجاز أوبريت غنائي فكتبت له أوبريت (عدلة بنت الدمان). وكان أن صدف وجود ملحم بركات في دمشق واقترحت على مدحود أن يلحنها ويقوم ببطولتها ملحم بركات، واجتمعتنا وتم الاتفاق بيننا وتم تلحين (أغنية آه لو فيني) التي يغنيها اليوم ربيع الخولي، (ولو يكون على الحق) التي يغنيها اليوم غسان ضلبي وهاتان من سياق العمل وهما من أحنان ملحم بركات، وأعطى الأغنيات الباقية إلى عبد الفتاح سكر وآخرين، وتم تسجيل الأغنيات، وفجأة جاء أمر، ولا أدري ممن، بالإيعاز لعيسى أيوب بكتابة عمل آخر لمدحود الأطرش، فاستخدمت أغنياتي فيه، ما عدا الأغنيات التي لحنها ملحم رحمة الله، الذي لم يقبل إطلاقاً استخدامها في أي عمل ليس من تأليفي. وعن حبه يقول: يمكننا أن نساءف كثيراً وأن نعمل من الصباح حتى المساء وقد ضيقتنا التعب وضيقتنا الزكام يمكن أن تعترضنا مشاكل مالية لكن في الوقت ذاته يمكن أن تكون سعادة لسبب بيدي هو أن أحداً ينتظرننا وليس أي أحد بل تلك التي أحلم بأنها تنتظرننا، لقد فهمت في هذه الأثناء لمن أشواق وأستوتحن لغيابها فهمت لمن أحتاج في الحياة وأنا سعيد بأنني أنجزت عملي من أجلها تلك التي أضناني حبه منذ زمن وسئمت من الانتظار.



## يفغيني غريشغوفيتش: بحار أصبح كاتباً ممثلاً ومخرجاً

مها محفوض محمد

يتخلع في مشيته على المسرح شبه متردد، يتقدم وهو يشبك قدميه وكأنه يمشي على جبل فلا يكاد المشاهد يرى النهاية، يتوقف في المنتصف، وعلى خشبة المسرح كرسي وسطل ليديلخ في مونولوج طويل يقود المشاهد لأن يعيش تجربة فريدة مع ممثل يكشف التركيبة الإنسانية من دون أن يخفي شيئاً.

ذاك هو الممثل المسرحي والمخرج والكاتب الروسي يفغيني غريشغوفيتش الذي يصفه النقاد بظاهرة الفن الروسي المعاصر فهو الكاتب الذي أحسن توصيف قطار الحياة المشاهد لأن يعيش تجربة فريدة مع ممثل عميقاً حول ما هو مهم في الحياة. غريشغوفيتش المولود في كييموروفو

(سبيريرا الغربية) عام ١٩٦٧ أحرز رقم غينيس في أطول دور أداء فردي على المسرح بدأ دراسته عام ١٩٨٤ في مدرسة فقه اللغة في جامعة كوزباس وفي السنة الثانية قطع دراسته ليلتحق بالخدمة الإلزامية في أسطول المحيط الهادئ في جزيرة روسكي وكان خلالها يشارك في عروض مسرح الهواة. في عام ١٩٨٨ أرسل إلى الاحتياط أيضاً وبالتوازي كان يقدم أعمالاً مسرحية في الاستديو وفي الجامعة ثم أنشأ المسرح المستقل «Loja» في كييموروفو الذي تم تقديم تسع مسرحيات له في هذا المسرح خلال سبع سنوات وفي العام ١٩٩٨ ذهب ليستقر في مدينة كالينغراد حيث قدم خلال تلك الفترة أول عرض منفرد له «كيف كانت معاناتي» وهو عبارة عن مونولوج تستحضر فيه الشخصية طفولتها حتى الخدمة الإلزامية كبحار ويريوي للمشهد

المخاطر التي اعترضته خلال سن المراهقة وقد جرى تقديم هذا العرض على المسرح نحو ٦٠٠ مرة لنبال عليه يفغيني جائزة المسرح الوطنية «قناع الذهب» عام ٢٠٠٠ ثم جائزة النقاد وليصبح بعد أربع سنوات تلت الفضل لدى الجمهور كما لوحظ أن مسرحياته تستعيد مآثر الأدب الروسي وتذكر بأعمال تشيخوف وديوفلاتوف وفاسيلي شوكنين، قال عنه الناقد الأدبي يان شينكمان: إن نثر غريشغوفيتش هو أفضل وسيلة علاج للإنسان المتعب من مشوار الحياة التي لا يجد فيها لحظة للراحة.

في كتابه «المقصص» يجذب القارئ إلى عمق الأشياء ويريوي قصصاً ملهولة بالتقاليد حيث يتوصل الراوي لإيجاد مخرج للحالات الصعبة وقد تم تسجيل الرواية مع بداية هذا العام على لأوحة المرشحين لجائزة بوكر

الروسية، وعلى الرغم من أن غريشغوفيتش يعيش بين كالينغراد وموسكو إلا أنه يعرض مسرحياته في جميع أنحاء روسيا وأيضاً في أوروبا ويشارك في مهرجانات فيينا وباريس وبروكسل وميونخ وبرلين، له العديد من المؤلفات الروائية والقصصية منها «المدينة»، «الكوكب السيار»، «في الوقت ذاته»، «شتاء»، «الوتد».

إضافة إلى ذلك فقد سجل ألبوماً للموسيقا مع فرقة بيغودي ثم بدأ التعاون مع فرقة بارنستورم و التلفزيون عمل مقدم برامج من تأليفه حيث يقرأ المونولوج حول موضوع ما كما كتب سيناريو ميلودراما وأدى فيه الدور الرئيسي، خلال عام ٢٠١١ شارك يفغيني في البيعة البحرية الروسية إلى القطب الشمالي على متن سفينة مولتشانوف في زيارة إلى البحيرة الوطنية الروسية التي كان الهدف

منها إحصاء عدد الدببة القطبية وعلى طول الرحلة كان يكتب مذكراته يوماً بيوم. تقول عنه صحيفة لومانيتيه الفرنسية: هو كاتب يطلق العنان لتفكيره ويقدم لنا نصاً متعدد الوجوه فيه رسالة فلسفية واستنباط علمي يتفاصيل توظف أفعالاً مخفياً وذاكرة عقلنا الباطن، يذكرنا بكتابات كلود سيمون ومارسيل بروست حيث تفكر في الكتابة التلقائية بلغة محررة من أي رقابة ذاتية يقول كل ما يملئ عليه الفكر من دون المرور عبر مصفاة المنطق فهذا الرجل يضعنا أمام أنفسنا أمام قلقنا وأماننا. وفي لقاءه مع الصحفية ذاتها يقول غريشغوفيتش: بدأت مرحلة المسرح في موسكو بالحديث عن طفولتي ومراهقتي وشبابي، اليوم تقدمت في عمري ومسرحي يستدركني، لقد أغييت المسافة تماماً بيني وبين مسرحي أشعر بأنني على اتصال